الباب الخامس
فى ظل الكعبة

قبل البعثة

كانت الكعبة نادى قريش ، ومكان الترفيه ، وموضع حكامها وحكمها ، وسامر أهلها ، ومكان عبادتهم حيث يضعون أصنامهم لذلك كانت معظم مناظرات أهل مكة فيها سواء الشعرية أو الدينية أو غيرها وإليك بعض ما كان يدور على سبيل المثال فلا يمكن الحصر لبعد الزمان وطول ما كان فيها :-

تبشير بظهور النبى فى البيت[1]

قال زيد بن عمرو بن نفيل وهو عند النجاشى ومعه أحد أصحابه أنا في مثل هذه الليلة ، خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل آمنة حتى أتيت جبل أبي قبيس أريد الخلو فيه لأمر رابني إذ رأيت رجلاً نزل من السماء له جناحان أخضران فوقف على أبي قبيس ثم أشرف على مكة فقال ذل الشيطان وبطلت الأوثان ولد الأمين ثم نشر ثوباً معه وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جلل ما تحت السماء وسطع نور كاد أن يختطف بصري وهالني ما رأيت وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة فسطع له نور أشرقت له تهامة وقال

1) سيرة ابن هشام جزء 1 - ص 208

ذكت الأرض وأدت ربيعها وأوما إلى الأصنام التي كانت على الكعبة فسقطت كلها قال النجاشي ويحكما أخبركما عما أصابني إني لنائم في الليلة التي ذكرتما في قبة وقت خلوتي إذ خرج علي من الأرض عنق ورأس وهو يقول حل الويل بأصحاب الفيل رمتهم طير أبابيل بحجارة من سجيل هلك الأشرم المعتدي المجرم وولد النبي الأمي المكي الحرمي من أجابه سعد ومن أباه عتد ثم دخل الأرض فغاب فذهبت أصيح فلم أطق الكلام ورمت القيام فلم أطق القيام فصرعت القية بيدي فسمع بذلك أهلي فجاءوني فقلت أحجبوا عني الحبشة فحجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي [1]

قصة عمرو بن مرة الجهني:

قال عمرو بن مرة الجهني خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية فرأيت في نومي وأنا بمكة نوراً ساطعا من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب، وأشعر جهينة ، فسمعت صوتاً بين النور وهو يقول انقشعت الظلماء وسطع الضياء وبعث خاتم الأنبياء ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن وسمعت صوتاً من النور وهو يقول ظهر الإسلام وكسرت الأصنام ووصلت الأرحام فانتبهت فزعاً فقلت لقومي والله ليحدثن لهذا الحي من قريش حدث وأخبرتهم بمارأيت فلما انتهينا إلى بلادنا جاءني رجل يقال له أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال يا عمرو بن مرة أنا النبي

1) البداية والنهاية جزء 2 - ص 347

المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله[1]

مناظرة

روى الحافظ ابن عساكر عن الزهري أن أمية ابن أبي الصلت قال :-

ألا رسول لنا منا يخبرنا ما بعد غايتنا من رأس مجراني

فقدم علي رسول الله (ص) مكة فلقيه فقال يا ابن عبد المطلب ما هذا الذي تقول؟ قال أقول إني رسول الله وأن لا إله إلا هو قال إني أريد أن أكلمك فعدني غداً ، قال فموعدك غداً فلما كان الغد غدا أمية في جماعة من قريش،وغدا رسول الله (ص) معه نفر من أصحابه حتى جلسوا في ظل الكعبة قال فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى إذا فرغ الشعر قال أجبني يا ابن عبد المطلب فقال رسول الله (ص): بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم حتى إذا فرغ منها وثب أمية يجر رجليه فتبعته قريش يقولون ما تقول يا أمية؟ قال أشهد أنه على الحق فقالوا هل تتبعه قال حتى أنظر في أمره قال ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله (ص) قريش المدينة [1]

1- رواه الطبراني والبداية والنهاية جزء 2 - ص 319

مجلس لابن عبد المطلب:

كما أن علية القوم من قريش كانت لهم مواضع منها توطأ لهم فيها الفرش قال ابن اسحاق وكان رسول الله (ص) مع جده عبد المطلب بن هاشم بعد موت أمه آمنة بنت وهب فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له قال فكان رسول الله (ص) يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم دعوا إبني فو الله إن له لشأنًا ، ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع[2]

كعب بن لؤي:

روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة قال كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه العروبة فيخطبهم فيقول أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار ضاح والأرض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والأولون كالآخرين والأنثى والذكر والروح وما يهيج إلى بلى فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم فهل رأيتم من هالك رجع أو ميت نشر الدار

---

1) البداية والنهاية جزء 2 – ص 226 2- البداية والنهاية جزء 2 – ص 287

أمامكم والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم ومنه سيخرج نبي كريم ثم يقول والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ويد ورجل لتصببت فيها تنصب الجمل ولأرقلت بها إرقال العجل وكان بين موت كعب وبعث رسول الله(ص) خمسمائة وستون سنة.[1]

زيد بن عمرو بن نفيل

كان زيد بن عمرو متحنفاً يتبع دين إبراهيم ويدعو أهل مكة إلى إتباع دين إبراهيم ونبذ عبادة الأصنام والعودة إلى عبادة الله وكانت الكعبة موضع دعوته وموضع إيذاء أهل مكة له .

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن أسماء بنت أبي بكر قالت لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري ثم يقول اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحلته وكذا رواه أبو أسامة عن هشام به وزاد وكان يصلي إلى الكعبة ويقول إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم وكان يحيى الموؤدة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها إلي اكفلها فإذا ترعرعت فإن شئت فخذها وإن شئت فادفعها[1].

---

1) البداية والنهاية جزء 2 - ص 244

أخرجه النسائي من طريق أبي أسامة وعلقه البخاري فقال عن راوية رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد ما رجع من الشام وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة سجدتين ثم يقول هذه قبلة إبراهيم واسماعيل لا أعبد حجراً ولا أصلي له ولا آكل ما ذبح له ولا استقسم الأزلام وإنما أصلي لهذا البيت حتى أموت وكان يحج فيقف بعرفة وكان يلبي فيقول لبيك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من عرفة ماشيًا وهو يقول لبيك متعبدًا موقوفًا[2]

زواج عبد الله من آمنة :

قال ابن اسحاق ثم انصرف عبد المطلب آخذًا بيد ابنه عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة فنظرت إلى وجهه فقالت أين تذهب يا عبدالله؟ قال مع أبي قالت لك مثل الأبل التي نحرت عنك وقع على الآن قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبدالمطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة سناً وشرفاً فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها ،فزعموا أنه دخل عليها حين

1- البداية والنهاية جزء 2 - ص 237 2- البداية والنهاية جزء 2 - ص 240

أملكها مكانه فوقع عليها فحملت منه برسول الله (ص) ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت بالأمس قالت له فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك حاجة وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر واتبع الكتب أنه كائن في هذه الأمة نبي فطمعت أن يكون منها فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته[1].

الكعبة والأصنام:

قال ابن إسحاق وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدي لها كما تهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها لانها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده وكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح وكانت اللات لثقيف بالطائف وكانت سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجيء أهل الطائف وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة

---

1) سيرة ابن هشام جزء 1 - ص 286

على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو سفيان أيضاً وقيل علي بن أبي طالب وكان ذوالخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وكان يقال له الكعبة اليمانية ولبيت مكة الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن عبد الله البجلي وكان قلس لطئ ومن يليها بجبلي طي بين أجا وسلمى وهما جبلان مشهوران وكان رآم بيتاً لحمير وأهل اليمن وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال السهيلي أن هذه البيوت كلها هدمت لما جاء الإسلام جهز رسول الله (ص) إلى كل بيت من هذه البيوت سرايا تخربه وإلى تلك الأصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعبد الله وحده لا شريك له .[1]

لما قدم آب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون قالوا له هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه0

قال ابن إسحاق ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل عليه السلام أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا

1- البداية والنهاية جزء 2 – ص192 - 193

الفسح في البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه.

وفي الصحيح عن أبي رجاء العطاردي قال كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا بها.

قال ابن اسحاق واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة ،والوقوف على عرفات والمزدلفة وهدي البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه فكانت كنانة وقريش إذا هلوا قالوا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده وقد ذكر السهيلي وغيره أن أول من لبى هذه التلبية عمرو بن لحي وأن إبليس تبدى له في صورة شيخ فجعل يلقنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك.

وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) كان إذا سمعهم يقولون لبيك لا شريك لك يقول قد قد أي حسب حسب وقد قال عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيته يجر أمعاءه في النار تفرد به أحمد من هذا الوجه وهذا يقتضي أن عمرو

بن لحي هو أبو خزاعة الذي تنسب إليه القبيلة بكمالها كما زعمه بعضهم من أهل النسب فيما حكاه ابن إسحاق وغيره .[1]

قال أبو هريرة قال النبي (ص) رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبة في النار كان أول من سيب السوائب وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم وقال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله (ص) يقول لأكثم بن الجون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي ابن قمعة بن خندف يجر قصبة في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال أكثم عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله قال لا إنك مؤمن وهو كافر إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي ليس في الكتب من هذا الوجه وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه أو مثله وليس في الكتب أيضاً وقال البخاري عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ورأيت عمراً يجر قصبة وهو أول من سيب السوائب تفرد به البخاري وروى الطبراني من طريق صالح عن ابن عباس مرفوعا في ذلك والمقصود أن عمرو بن لحي لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل فاتبعه العرب في ذلك فضلوا بذلك

1- البداية والنهاية جزء 2 - ص 188

ضلالاً بعيداً بيناً فظيعاً شنيعاً وقد أنكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير آية منه فقال تعالى ولا تقولوا لم تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب الآية وقال تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون.[1]

وقال البخاري في صحيحه باب جهل العرب : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة ،التي ظنها كبيرهم عمرو بن لحي قبحه الله مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الطغام فيه بل قد تابعوه فيما هو أطم من ذلك وأعظم بكثير وهو عبادة الأوثان مع الله عز وجل وبدلوا ما كان الله بعث به خليله إبراهيم من الدين القويم والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك وغيروا شعائر الحج ومعالم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف واتبعوا في ذلك من كان قبلهم من الأمم المشركين وشابهوا قوم نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله إليهم نوحا وكان أول

1- البداية والنهاية جزء 2 ص 189

رسول بعث ينهى عن عبادة الأصنام وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً الآية قال ابن عباس كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم .

قال ابن إسحاق وغيره ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين إسماعيل فكان ود لبني كلب بن مرة بن غتلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان منصوبا بدومة الجندل[1] .

وكان سواع لبني هذيل بن الياس بن مدركة بن مضر وكان منصوبا بمكان يقال له رهاط وكان يغوث لبني أنعم من طيء ولأهل جرش من مذحج وكان منصوبا بجرش وكان يعوق منصوبا بأرض همدان من اليمن لبني خيوان بطن من همدان وكان نسر منصوبا بأرض حمير لقبيلة يقال لهم ذو الكلاع.

قال ابن إسحاق وكان لخولان بأرضهم صنم يقال له عم أنس يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله فيما يزعمون فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه له تركوه له وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه وفيهم أنزل الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا قال وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال له سعد صخرة

---

1) البداية والنهاية جزء 2 ص 190 – 191

بفلاة من أرضهم طويلة فأقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم فلما رأته الابل وكانت مرعية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربها وأخذ حجرا فرماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت على ابلي ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال:-

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعو لغي ولا رشد

قال ابن إسحاق وكان في دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي قال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وقد ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لحي لعنه الله.

قال ابن إسحاق واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما وقد ذكر الواقدي أن رسول الله (ص) لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور وقد ذكر السهيلي أن أجا وسلمى وهما جبلان بأرض الحجاز إنما سميا باسم رجل اسمه أجا بن عبد الحي فجر بسلمى بنت حام فصلبا في هذين الجبلين فعرفا بهما قال وكان بين أجا وسلمى صنم يقال له قلس قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به.[1]

فعل العرب مع أصنامهم:

قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله فلما بعث الله رسوله محمداً (ص) بالتوحيد قالت قريش : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب.

الطواغيت:

وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده

العزى وسدنتها وحجابها:

كانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء بني هاشم قال ابن هشام : حلفاء بني أبي طالب خاصة قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب:-

---

1- سيرة ابن هشام جزء 1 ص 209

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الأدم أهداها امرؤ من بني غنم

رأى قدعا في عينها إذ يسوقها إلى غبغب العزى فوسع في القسم

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هدياً قسموه فيمن حضرهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبي خراش الهذلي واسمه خويلد بن مرة في أبيات له [1].

دوس وصنمهم : وكان في دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي0

عباد هبل : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له : هبل . [2]

إساف ونائلة :وقد سبق الحديث عنهما مراراً

<u>بعد البعثة</u>

إسلام عمر والكعبة : سبق الحديث عنه في صفحة 111

1) سيرة ابن هشام ج 1 – ص 210 2) سيرة ابن هشام ج 1 – ص 207